

الفلسطيني إنما يتحرك كشعب، ومن مختلف مواقع تواجد، ولا يشكل تحركه مجرد رد فعل لاحتلال عام ١٩٦٧. ولم يكن إبراز هذه الفكرة أو توضيحها ليجتاج إلى شرح مستفيض، فقد تكفلت بذلك أعلام فلسطين التي رفعت في الجليل والناصرة، كما عبرت عنه شعارات التأييد لمنظمة التحرير الفلسطينية. وهكذا قالت الأعلام والشعارات: إن تحرك يوم الأرض يتجاوز الإعراب عن التأييد والتضامن، إلى الاعلان عن الالتحام والتمازج ووحدة المصير، وإلى التعامل مع الأرض الفلسطينية على أنها أرض واحدة، سواءً احتلت في العام ١٩٦٧ أم في العام ١٩٤٨.

في إطار هذا المضمون العميق للانتفاضة، برزت لها أصداء سياسية مباشرة ومتنوعة. ففي داخل اسرائيل، انعكست الانتفاضة أزمة على حكومة مناحيم بيغن، وهي أزمة قد تسفر عن انتخابات جديدة في اسرائيل، تجري قبل الموعد المحدد لها بفترة طويلة، ولكن الجوهر في هذه الأزمة أنها تضع الكيان الاسرائيلي أمام مأزقه الاستراتيجي، بالرغم من القوة العسكرية الهائلة التي يملكها.

وفي العواصم الغربية كافة، حيث الامتداد الحيوي للنفوذ الاسرائيلي، وجدت هذه العواصم نفسها أمام أحداث الانتفاضة ودروسها وجهاً لوجه، كما وجدت نفسها مضطرة ومرغمة على إعلان مواقف تتعد عن التأييد التقليدي للموقف الاسرائيلي بهذا المقدار أو ذلك، بل وبدأ بعضها يطرح ضرورة العودة لإحياء التحرك السياسي الأوروبي، من أجل الاسهام في إيجاد حلول مرضية لأزمة الشرق الأوسط.

وتفاعلت جماهير العواصم العربية مع الانتفاضة بالقدر المتاح لها من حرية التعبير، بينما شكل غياب التضامن العربي، وغياب استراتيجية عربية موحدة، حاجزاً واقعياً أمام القدرة على الاستفادة من وقائع الانتفاضة، واستخلاص جملة من المواقف الدولية المناسبة مع زخمها وعطائها.

وهنا بالذات، يبرز أماننا الدرس الكبير. فقد أعطى سكان المناطق المحتلة من طاقاتهم النضالية أقصى ما يستطيعون، ولكن هذا العطاء لا يستطيع أن يأخذ مداه طالما بقي الوضع العربي عاجزاً عن رسم سياسة موحدة، ورافضاً لمنطق استعمال امكاناته المالية والاقتصادية في الضغط على الولايات المتحدة وعلى العواصم الغربية، لإجبارها على إعادة النظر في سياساتها في المنطقة العربية، خاصة وأن الإقرار بسياسة الضغط هذه، هو المدخل العملي الوحيد لمواجهة اتفاقات كامب ديفيد، وإسقاط هذه الاتفاقات نهائياً، ومنع تسرب الأطروحات التي تدعو لتجديدها، أو تطويرها، أو تكميلها، من وراء ظهر الانتفاضة وانجازاتها.

بلال الحسن